152735 ـ كم يوما استمرت الريح التي أهلكت قوم عاد

السؤال

الآية/19: سورة القمر : (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر). الآية/16: سورة فصلت : (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات) الآية/7: سورة الحاقة : (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) في الآية الأولى أشار إلى أن الريح ستستمر ليوم واحد ، بينما في الآية الثانية استعمل صيغة الجمع التي تدل على ثلاثة أيام على الأقل ـ وفي الآية الثالثة جزم الأمر باستمرار الريح مدة ثمانية أيام . أليس في هذا تناقضاً ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

لا نظن أن مثل هذا السؤال يرد إلا بسببين اثنين :

السبب الأول : عدم الاطلاع على أساليب اللغة العربية ، ولا نقول " عدم العلم " ، إذ يكفي الاطلاع اليسير على اللغة العربية لمعرفة كم هو بعيد عن أساسيات اللغة العربية هذا الذي يؤمن بمثل هذه الشبهات الركيكة .

والسبب الثاني : قياس القرآن الكريم الذي تواتر لفظه ومعناه ونسبته إلى رب العزة جل وعلا على الكتب المحرفة التي – لو فرضنا ثبوتها – فإنما ثبتت من كلام الحواريين الذين جمعوها وشرحوا فيها بلغتهم ما سمعوه من الأنبياء ، فهي ـ في أعلى تقدير لها ـ ككتب السيرة لدى المسلمين ، بل لا تبلغ ذلك إذا سلَّطنا مقياس النقد ، والدراسة التوثيقية عليها ؛ فليست منقولة بنص كلام الأنبياء ، فضلا عن أن تكون من كلام الله سبحانه وتعالى .

ينظر : " الجواب الصحيح " (3/21-22)

أما القرآن الكريم فهو كلام الله عز وجل المنقول إلينا بالتواتر بنصه وحرفه ومعناه ، ليس اجتهاد بشر ، ولا رواية راو ، ولا حكاية حاك ، وإنما هو نقل الكافة عن الكافة عن رب العزة جل وعلا ، فلا يمكن أن يقع فيه مثل هذا التناقض الصريح .

بل إذا فرضنا – جدلا – أن القرآن ليس كلام الله بل كلام بشر : فيبعد أن يخطئ واحد من البشر هذا الخطأ الفادح ، والتناقض الظاهر وهو يدَّعي أن هذا الكتاب هو معجزته التي تحدى بها قومه .

ثانيا :

أما الجواب عن ما ورد في الآيات فهو واضح جدا ، ويسير على من يملك أساسيات اللغة العربية ، ويطلع على شيء من لسانها ، ولتوضيح ذلك نضرب هذا المثال السهل والقريب للفهم إن شاء الله .

أرأيت لو أن رجلا ذهب في سفر للنزهة والسياحة لمدة ثمانية أيام ، ثم لما عاد إلى أهله وشرع في حكاية قصتها عليهم ، وإخبارهم عنها فقال :

" لقد كانت ثمانية أيام جميلة ، قضينا فيها وقتا ممتعا ، وما أظن أن الذاكرة ستنسى شيئا من تلك الأيام ، وخاصة يوم البداية ، أو قال في نفس السياق ، أو في سياق آخر : لقد كان يوم الجمعة ـ يعني : أحد هذه الأيام ـ يوما جميلا ، أو قال : لقد كان أول يوم يوما رائعا " ، أو ما أشبه ذلك من الكلام . ؛ هل يتهم أحد هذا المتكلم بالتناقض وإيقاع السامعين في الحيرة حول حقيقة عدد تلك الأيام ؟

لا نظن أن عاقلا يقول ذلك أبدا .

وهكذا ينبغي أن يقال فيما ورد في القرآن الكريم .

فقد صرح القرآن الكريم أن أيام العذاب التي أهلك الله فيها قوم عاد كانت ثمانية أيام ، وذلك في قوله عز وجل : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) الحاقة/6-7.

وجاء في القرآن الكريم ذكر مجرد لهذه الأيام بصيغة الجمع ، من غير النص على العدد ، وذلك في قوله تعالى : (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) فصلت/15-16.

فقوله : (أيام نحسات) لا ينافي بوجه من الوجوه تحديدها بعدد ؛ لأن كلمة (أيام) جمع ، والجمع يصدق على الثمانية المصرح بها في آية أخرى .

وأما قوله تعالى : (كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ . إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) القمر/18-19.

فيوم النحس هو اليوم الذي بدأ فيه العذاب ، وكان مقدمة لثمانية أيام مهلكة لقوم عتوا في الأرض واستكبروا وقالوا من أشد منا قوة ، ولذلك لم يقل الله عز وجل (في يوم نحس واحد) وإنما قال : (فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) ليؤكد استمرار النحس والهلاك إلى ثمانية أيام يهلك فيها هؤلاء المستكبرون الظالمون .

يقول ابن كثير رحمه الله :

" قوله : (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) أي : متتابعات . (سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) الحاقة/7، كقوله : (فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) القمر/19، أي : ابتُدِئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم ، واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيام حتى أبادهم عن آخرهم ، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة " انتهى.

" تفسير القرآن العظيم " (7/169) .

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله :

" أريد بـ (يَوْمِ نَحْسٍ) أول أيام الريح التي أرسلت على عاد " انتهى.

" التحرير والتنوير " (27/185) . وينظر : " مفاتيح الغيب " (29/41) .

والله أعلم .